ظلّ المعلّم متجهّماً في الأيام التي تلت وكأنه يتفكّر في عِبرة تنحفر إلى الأبد في ذاكرة المراهق الغضّة. وكذلك حرص «الإخوة»، باستثناء «مالكوس»، على ألاّ يبادلوا المُذنِب كلمة واحدة خوفاً من أن يُصيبهم غضب «سيتايي»، وبسبب الرعب الشديد الذي كانت توحي به إليهم جميعاً الخطيئة التي لم يُعاقب عليها بعدُ.

كانت الأيام تمضي، وغدا هواء بستان النخيل مُحرِقاً، ولم يكن لشمس صيف (ما بين النهرين) يدٌ في ذلك. وما كان جوار «دجلة» ليلطّفه قطّ هذه المرة. فلقد كان المعلّم يشعر بأنه مهدَّد في سلطانه. وكان يقول في نفسه: «ألستُ أنا الذي قرّر، مستجيباً لاندفاعة مباغتة، أن يذهب ذات يوم إلى (المدائن)، إلى معبد الوَثَن «نَبو»، ليصطاد عند حافّة الحوض أميراً «پارتياً» عجيباً يبحث عن الحقيقة؟ ألستُ أنا «سيتايي»، مَنْ ألحّ على جَلْب هذا الصبيّ إلى هذه «الجماعة»، وحين ضعف «پاتيغ»، ألم أكن أنا الذي ذهب شخصياً لجلب الصبيّ؟ ألم أكن بذلك أداة «مشيئة سامية»؟ ثم ألم أُصْبِحْ، بشكلٍ ما، عرّابَ «ماني»، أباه في «الجماعة»؟.

«ومع ذلك فإن هذا الصبيّ الذي أعتقد أن «العناية الإلهية» قد أشارت به هو نفسه الذي ينتهك شريعتنا، هو نفسه الذي يجرؤ على رسم ملامح «الوجه القدسيّ» بأصابعه القذرة! بأية لغة أُكلّمه، وأي سلوك أسلك معه، وكيف أمنعه، على الأخصّ، من نشر الاستهتار والاضطراب في بستان النخيل هذا؟».

إذ كان الاضطراب قد أخذ يعمّ بين «الإخوة». فكان بعضهم، وهم قلّة قليلة والحقّ يُقال، يتساءلون: ألا تبدو، في الثانية عشرة من العمر، عند مفارقة الطفولة، مخايل «المختارين» وتنفجر حكمتهم في وجه من يَكبرونهم؟ فكما «يسوع» في وجه فقهاء الشريعة في (هيكل القدس)، كذلك هو «ماني»! وكان هذا التشبيه يثير حفائظ معظم «أصحاب الملابس البيضاء» الذين بدأوا يأخذون الآن على «سيتايي» قلّة تشدّده بإزاء المُلْحِد. وإنها المرة الأولى منذ